المحاضرة العاشرة

(شارلمان ٧٦٨ – ٨١٤)

مما لا شك فيه ان حكم شارلمان يعتبر فاتحة لعهد جديد متميز ليس بالنسبة لتاريخ الفرنجة فحسب ، بل بالنسبة لتاريخ أوربا كلها. لقد جاء شارلمان ليضع اللمسات الاخيرة لعملية الصهر والاندماج للعناصر الجرمانية والرومانية في وسط وغرب اوربا. والى جانب هذا كان شارلمان مواظبا على سياسة الفرنجة التقليدية في التوسع ، بعد ان اخذت لها ابعادا جديدة وهدفا واضحا يتلخص في ضم جميع العناصر الجرمانية في اوربا وصهرها في دولة واحدة. وادى اندفاع شارلمان في تنفيذ هذه السياسة الى تقدمه في اراضي جديدة كانت حدودها ملاصقة لشعوب اخرى غير جرمانية مثل الشعوب السلافية والمجريين والبلغار والبيزنطيين والعرب. كما استمر شارلمان في اتباع سياسة الفرنجة التقليدية الخاصة بتعزيز التحالف والتعاون مع البابوية. والحقيقة ان الاسس لأوربا الرومانية الجرمانية المسيحية التي ارسيت قواعدها منذ قرون عديدة قد اخذت تظهر ملامحها بشكل واضح وجلي في هذا الوقت.

حروب شارلمان

وعهد شارلمان عبارة عن سجل للحروب المتواصلة التي استمرت طيلة سنين حكمه دون توقف. وكان هدفه من تلك الحروب حماية الحدود ودفعها وضم عناصر جرمانية جديدة اليها ونشر المسيحية بين الشعوب الوثنية . وقد تكون انجازاته الحربية هي التي اكسبته لقب العظيم. وقاد شارلمان بنفسه او بانتدابه احد ابنائه او ضباطه خلال حياته ما لا يقل عن اربع وخمسين حملة. كان خمس منها ضد اللمبارديين ، وثمانية عشرة ضد السكسون ، واربع ضد الافار ، واربع ضد السلاف ، وسبع ضد المسلمين في اسبانيا وجنوب فرنسا ، واثنتان ضد البيزنطيين. وكان امرا استثنائيا ان يسجل في احداث عام ٧٩٠ لا توجد حرب لهذا العام. كانت اول حروب شارلمان ضد اللمبارديين ، فقد جدد هؤلاء تهديداتهم للولايات البابوية. فسار شارلمان الى ايطاليا وحاصر عاصمتهم بافيا ، وقضى على جميع دوقياتهم ثم اعلن نفسه ملكا على اللمبارديين ، فصار لقبه الرسمي ملك الفرنجة واللمبارديين والرومان ثم واصل شارلمان فتوحاته في ايطاليا فضم فنيسيا وساحل دلماشيا وجزيرة كورسيكا وصارت حدوده في هذه الناحية محاذية اللامبراطورية البيزنطية. وخلال محاصرته إلى بافيا عام ٧٧٤ غادرها الى روما للاحتفال بعيد الفصح هناك. فكان اول ملك فرنجي يدخل روما ، وقد استقبل فيها استقبالا حافلا وهناك اقر(منحة ببين) وان قيل انه اقتطع جزءا كبيرا منها. وعلى الرغم من اعترافه بالولاية البابوية فانه لم يترك مجالا للشك والالتباس

بانه حاكم الرومان وحامي المدينة المقدسة والسيد الفعلي لها. لقد كان على البابوات ان يصغوا اليه وهو يأمر البابا كما يامر اي اسقف او حاكم في مملكته. فبالنسبة الى شارلمان لا يتميز البابا الا بالوضع التقليدي الرفيع لكنيسة روما. وان سيادة شارلمان على الكنيسة لم تكن موضع جدل وخلاف. لقد كتب مرة الى البابا قائلا انه من اختصاص الملك ومن واجباته المهمة الدفاع عن كنيسة الله المقدسة وحمايتها بحد السيف وتثبيت العقيدة الكاثوليكية وواجب الاب المقدس – البابا – مؤازة الملك ومساندته في جهوده هذه بصلاته ودعائه له وباتباع وتطبيق قانون الكنيسة وشرائعها دع حياتك ايها الاب المقدس تكن مثالا للقدسية ، دع فمك لا يفتح الا وينطق بالحكمة والنصح المقدس. وقد لا تكون نظرة شارلمان الى وظيفة البابا هذه موضع ارتياح من البابا ، ولكن قوة شارلمان وشخصيته اللامعة لم تدع البابوات في عهده مجالا للجدل والاعتراض بأي شكل من الاشكال.

وكانت حملات شارلمان التالية على البافاريين وانتهت تلك الحملات بدحر هؤلاء وضم اراضيهم كلها الى مملكة الفرنجة. وبحكم شارلمان بافاريا لامست حدود مملكة الفرنجة الافار في الدانوب الادنى. ولعل اهم حروب شارلمان واكثرها قسوة ومرارة هي تلك الحروب التي شنها على السكسون ، والواقع ان هذه كانت اعنف الحروب التي خاضها الفرنجة خلال تاريخهم. ولم يسبق لهم ان قاموا بحرب بمثل هذه الجدية والقسوة ، وتطلبت منهم مثل تلك المثابرة والجهد الكبيرين. ذلك ان السكسون، شانهم شان بقية الشعوب الجرمانية الأخرى ، كانوا محاربين اشداء ، وكما وصفهم اينهارت مؤرخ شارلمان حلفاء مخلصين لشيطان الحرب، معادين للدين لا يرون ما يعاب عليهم في تجاوز هم القوانين السماوية والبشرية. ولم يكن هدف شارلمان من حربه مع السكسون حماية حدود مملكته فحسب، بل كان يرمي من ورائها ايضا فرض الديانة المسيحية بالقوة العسكرية على السكسون، وكان هؤلاء آخر من تبقى من الشعوب الجرمانية لا يزالون محتفظين بالديانة الوثنية. لقد ركز الفرنجة لمدة ثلاثين عاما جهودهم وصبوا جيوشهم في سكسونيا. وقاد شارلمان بنفسه عددا كبيرا من الحملات ضد السكسون ، وكانت القسوة هي الطابع المميز للصراع بين الفرنجة والسكسون. يكفي ان يذكر هنا انه في يوم واحد فقط قطع الفرنجة رؤوس ٤٥٠٠ من السكسون في فردان عام ٧٨٢. وهجر شارلمان عشرات الألوف من السكسون وانتزع اراضيهم ومنحها لبقية الشعوب الجرمانية.

وبعد ان حقق شارلمان النصر النهائي في سكسونيا ، وانهارت تماما مقاومة اهلها ، نظمت شؤونها وثبت وجود الكنيسة المسيحية فيها ، وحوالي عام ٧٨٢ اصدر شارلمان مرسوما اعطى بموجبه الخيار للسكسونيين بين المسيحية والموت. وفرض عليهم عقوبة الموت لاي تجاوز على الكنيسة بأي شكل من الاشكال. وخضع السكون لهذه القسوة ، ولكن الاساقفة بقوا لمدة طويلة يشكون من ميل الناس في سكسونيا الى الوثنية والى عبادة الهتهم

القديمة. على اية حال ، ادت هذه السياسة القاسية الى جر السكسون والى دمجهم في العالم الاوربي. كما ادى توسع الفرنجة في سكسونيا الى وضعهم الى جوار السلاف.

وباحتلال اراضي اللمبارديين والبافاريين والسكسون، اتم شارلمان العمل الذي بدأه كلوفس ، فقد ضمت الشعوب الجرمانية الى مملكة الفرنجة ولم يبق خارجاً عنها سوى الانكليز والسكسون في الجزر البريطانية ، والشعوب الاسكندنافية. وفيما وراء الاراضي التي كان يقطنها السكسون والبافاريون واللمبارديون انطلقت جيوش شارلمان لتقيم الماركات أو ولايات الحدود. وهذه الماركات كانت في الواقع نقاط حماية ودفاع في وجه الشعوب الأخرى المجاورة لمملكة الفرنجة في حدودها الجديدة وكانت في الوقت نفسه نقاط انطلاق و تغلغل في اراضي تلك الشعوب. ومن هذه الماركات المارك الداني وهو اصغر الماركات التي اقامها شارلمان وهو عبارة عن برزخ يفصل بين السكسون وبلاد الدانيين اقيم لمنع هؤلاء من تقديم المساعدة الى السكسون خلال صراع هؤلاء المرير مع الفرنجة. ومن هذا المارك الداني اشتق اسم الدانمرك. واقام شارلمان ماركا آخر شرق سكسونيا حيث السلاف وجعل مركزه مجد برغ (Magdberg) وسمي هذا بالمارك القديم واستمر تقدم الفرنجة شرقا بعد فتح بافاريا ، حتى بلغوا حدود هنغاريا الحالية ، حيث شعب الاقار. ولحماية بافاريا وايطاليا من هجمات الاقار ، أقام شارلمان المارك الشرقي في ادنى الراين ، وكما ذكرنا ان الغرض من جميع هذه الماركات لم يكن دفاعيا فحسب ، بل كانت كلها مراكز انطلاق للفتح والاستعمار. وكانت هذه نقطة البداية لحركة التوسع الجرمانية جهة الشرق وباقامة المارك الاسباني في الجنوب والمارك البريتاني في الغرب اتم شارلمان سلسلة الماركات حول امبراطوريته الواسعة . لقد حققت مملكة الفرنجة توسعا في كل الجهات. وكانت تحتاج الى حماية خاصة من المسلمين ، فعبرت جيوش شارلمان جبال البرنس ولكن حملته الاولى انتهت بكارثة رونسفو تركت اثارها في الادب الشعبي ، حيث نظمت في تمجيدها عدة ملاحم من اشهرها ملحمة رولاند.

شارلمان يتوج امبراطورا

لم تحقق اية شخصية في اوربا من انجازات بقدر ما حققه شارلمان منذ عهد اوغسطس فقد ضمت امبراطورية الشعوب الجرمانية كلها تقريبا وامتدت حدودها فشملت اقطارا كثيرة بل انها صارت أوسع من القسم الغربي للأمبراطورية الرومانية عندما كانت في اوج عظمتها واتساعها. وكانت علاقته مع الكنيسة جيدة للغاية بل ان البابوية لم تنكر على شارلمان سيادته وحمايته لها. وفي عام ٧٩٩ كان وضع البابا ليو الثالث حرجا ودقيقا للغاية نتيجة تمرد اقطاب الكنيسة في روما عليه. واتهامهم اياه بسوء الخلق والفساد. ولجأ البابا الى شارلمان طالبا العون والتأييد. وقام شارلمان بزيارة روما. وفي يوم الاحتفال بعيد الميلاد عام ٨٠٠ وفي كنيسة القديس بطرس ، وبينما

كان شارلمان را كعاً امام المذبح ويحاول النهوض تقدم منه الباب ووضع التاج على رأسه ودعا له بالنصر والتوفيق كامبراطور الرومان (ويقال ان شارلمان نفسه فوجئ بهذا الشيء / بل ان مؤرخه اينهارت كتب يقول لو ان شارلمان كان على علم بما كان يخبئه له البابا ليو الثالث لما دخل الكنيسة ذلك اليوم ، و لما شهد الاحتفال بعيد الميلاد هناك فأن لعملية التتويج هذه اهمية خاصة . فللمرة الأولى يتوج – ملك جرماني امبراطورا . فمملكة الفرنجة الان من الناحية النظرية امبراطورية رومانية غريبة وان دل الأمر على شيء فانما يدل على ان فكرة اوربا موحدة ومنتظمة كلها بكيان سياسي تحت زعامة روما لا تزال حية وقوية. ومن الناحية العملية ، فقد كانت هذه موحدة فعلا قبل التتويج ، ولم يأت التتويج بشيء جديد ، فقد وحدها شارلمان واسلافه من الملوك الفرنجة. ولكن المعاصرين اعطوا للحادث أهمية خاصة ونظروا الى الأمر على انه عودة العصر الذهبي عصر الامبراطورية الرومانية ويمكن القول ان عملية التتويج ان لم تكن دليلا على نجاح عملية الصهر للعناصر الجرمانية والرومانية في مجتمع الغرب الجديد ، فانها على اي تقدير رمـزا ومظهرا مهم لذلك الصهر ، الذي هو في طريقه الان الى التكامل ، بعد ان قطع شوطا بعيدا وان عملية التتويج لم تكن البداية له على اية حال.

ان امبراطورية جديدة من نوع ما ظهرت في عام ٠٨٠٠ وقد استمر هذا النوع من التنظيم السياسي في اوربا بهذا الشكل او ذاك ، دون انقطاع ، حتى عام ١٨٠٨ عندما الغاه نابليون بونابرت. انها امبراطورية ظهرت برعاية الكنيسة وببركات البابوية. ولم يكن لظهورها اهمية مباشرة على العلاقة بين الكنيسة والسلطة الزمنية الحاكمة . فوجود شارلمان القدير المهيمن لم يدع مجالا للبابوية للاستفادة من هذه السابقة ، ومن اقامة اية ادعاءات عليها . ولكن المستقبل كشف عن جوانب لم تكن لتخطر ببال المعاصرين فقد اتخذ البابوات من عملية التتويج هذه ذريعة لادعاء السيادة والسلطة فهم الذين خلقوا الامبراطورية وهم الذين وضعوا التاج على رأس أول امبراطور بل هم الذين حولوا التاج من رأس الامبراطور البيزنطي في الشرق الى رأس ملك الفرنجة في الغرب. وانهم بهذا اعلى مقاما من الاباطرة. ولا يمكن ان يكون هناك امبراطور وامبراطورية دون رضى البابا وبركاته وتأييده، بل وتتويجه.

لقد صار الان زعيمان للمجتمع الاوربي احدهما ديني وهو البابا وثانيهم دنيوي او علماني وهو الامبراطور . وسيأتي الوقت الذي تسفك فيه الدماء وتهدر فيه الجهود لتقرير ايهما اسمى منزلة من الآخر، ومثل هذا لم يكن يخطر ببال احد في عهد شارلمان. فلقب الامبراطور الذي اعطاه شرعية السيادة على روما لا يعدو أن يكون تأكيدا للسلطة التي كان يملكها شارلمان فعلا ويمارسها. اما بالنسبة لسكان مملكة الفرنجة والجرمان عامة فلم يكن لمثل هذا اللقب اهمية كبيرة .

كان شارلمان حذرا في علاقاته مع البيزنطيين ، ولم يكن يرغب في استفزازهم اللقب الامبراطوري. وربما كان الاسباب التي دفعت البابا ليو الثالث منح لقب الامبراطور الى شارلمان هو رغبته في التخلص من اثر اية سيطرة بيزنطية وبالنسبة للبيزنطيين ، فان الامبراطور الوحيد للمسيحيين هو ذلك الذي في القسطنطينية.

فهو لا يزال يدعي انه حاكم الشرق والغرب، كأن لم يكن قد حدث شي خلال كل تلك القرون. ان اقدام البابا على منح شارلمان لقب الامبراطور وقبول الاخير له يجعل من الاثنين متمردين على سلطته الشرعية. ولفترة من الزمن كانت هناك مخاوف من ان شارلمان سيزحف على القسطنطينية لخلع الامبراطور هناك وتوحيد الامبراطورية . ويبدو انه لم يكن لتلك المخاوف من مبرر ، بل ان شارلمان فكر بمشروع آخر لتحقيق الوحدة بين الشرق والغرب. لقد كانت ايرين هي الامبراطورة في القسطنطينية فاراد شارلمان الزواج منها وبهذا يتم توحيد الامبراطورية واللقب معا. وقد يكون هذا هو البعث الحقيقي للإمبراطورية القديمة.

وكانت ايرين راغبة في مثل هذا المشروع، ولكن عزلها ونفيها عام ٨٠٢ حال دون ذلك وقد تطلب الامر من المفاوضات الشاقة والحروب المريرة كي تعترف القسطنطينية باللقب الامبراطوري لشارلمان واخيرا اعترف الامبراطور ميخائيل الأول بلقب شارل الامبراطوري في عام ٨١٢ ، وما كانت القسطنطينية في الواقع لتوافق على ذلك ، لولا المشكلات الكثيرة التي كانت تواجهها في ذلك الوقت ، و لولا الهزائم الدامية التي اصابتها على يد البلغار ووضع ذلك الاعتراف موضع التنفيذ عندما خاطب السفراء الذين بعثهم ميخائيل الاول الى آخن لمقابلة شارلمان بصفته امبراطورا وملكا وهكذا كما رجع الوضع الى ما كان عليه في اواخر ايام الامبراطورية الرومانية بل الى عام ٣٩٥ على وجه التحديد عندما توفي ثيودوسيوس وكانت هناك امبراطورية واحدة وامبراطوران ولعل هذا يوضح مفهوم الامبراطورية السائد في الشرق والغرب في القرن التاسع . كما يوضح ايضا ان روما لم تفقد اسمها السحري ، ولا تزال تمثل الكيان السياسي المثالي الذي يضم العالم المسيحي برمته او في الاقل العالم المسيحي الغربي. ولعل هذا هو المغزى المهم لتتويج شارلمان امبراطورا .

لقد كان لشارلمان مفهوم ثيوقراطي واضح للدولة. انها دولة تستند حكومتها الى سنة سماوية وتسترشد قيادتها بالهام من الله أنه الممثل المختار لله لتحقيق أهداف الهية ، وان تتويجه من قبل البابا يضفي على منصبه الطابع المقدس. وفي قوانينه لم يفرق شارلمان بين القوانين الدينية والدنيوية فهذه كلها امور حكومية . ان الملك هو الحاكم المسؤول عن حكم جميع المسيحيين . انه المسؤول عن كل شأن من شؤنهم الدنيوية والدينية ، وهو مشرع لهم في كل الامور دون استثناء فهو أملى على البابا كل امر من الامور الدينية والدنيوية ، بل انه املى عليه امورا هي في صميم العقيدة الكاثوليكية واملى على الاساقفة والقسس ما يقدمون من مواعظ ، بل املى على

المنشدين المرتلين في الكنيسة ينشدون. ولقد كان مؤمنا بضرورة ابعاد رجال الدين ابعادا تاماً عن مجال القضايا الدنيوية والسياسية. مع مراعاة ضمان احتياجات الكنيسة. وقد جعل دفع العشور لها امرا اجباريا.

الادارة في عهد شارلمان

بقي الموظفون المعينون من قبل الملك يمثلونه في مناطق تعيينهم وكانوا عادة يشغلون وظائفهم مدى الحياة ومضى الكونتات يتمتعون في كونتياتهم بصلاحيات. عسكرية ومالية وقضائية واسعة : ونظام الكونتات هذا طبق في ايطاليا و بافاريا وسكسونيا أما وظيفة الدوق والتي تمثل المصالح القبلية فقد الغيت ، وكذلك الحـال بالنسبة الى وظيفة رئيس البلاط. وفي الكونتية كان هناك مساعدين للكونت ورجال المئات (Vicors) وكان هذا النظام الاداري موجودا منذ عهد المير و فتجيين ولكنه صار الان اكثر تنظيما فالكونتية هي الوحدة الادارية الرئيسية وتنقسم كل واحدة منها الى وحدات ادارية اصغر منها تعرف بالمئة ومجموعها المئات (فيكارتز) اما الماركات او ولايات الحدود والتي سبق الكلام عنها فقد عين لها موظفون خاصون كانوا من الحكام العسكريين يسمى احدهم كونت المارك (The Conrt of the Marc) وهو ما يعرف بالفرنسية بالماركيز ومساحة المارك الواحد اوسع عادة من مساحة الكونتية ووجبات كونت المارك اكثر من واجبات الكونت ، فان عليه بالاضافة الى واجبات الكونت الاعتيادية مهمة الدفاع عن الحدود. وكان يشغل وظيفة الكونت شخص من المنطقة نفسها التي هي في عهدته ومن اسرة ذات نفوذ . وهي وظيفة قد تتحول الى منصب وراثي. كانت لدى شارلمان مخاوف دائمة من ان يصبح الكونتات مستقلين بكونتياتهم ، ولذا حاول ابقاء نوع من السيطرة عليهم. ورأى ان خير وسيلة لذلك هو التفتيش المستمر والاشراف المتواصل على الكونتات فاوجد نظاما خاصا واشخاصا خاصين هم المبعوثون الملكيون (dominicus) (Missus) القيام بهذه المهمة. وقسمت المملكة بموجب النظام الى مناطق كل منطقة تضم عددا من الكونتيات مسؤول عنها مبعوث ملكي وعادة مبعوثان احدهما مدني خاص بالاشراف على الشؤون المدنية والآخر ديني بالاشراف على الشؤون الدينية انهما حلقة وصل بين الملك وشعبه. فهما يقومان بزيارة الكونتيات فيقدمون التقارير عنها الى الملك حول كل الامور الدينية والدنيوية وقد اصدر شارلمان قانونا خاصا عام ٨٠٢ لتنظيم امر المبعوثين الملكيين. وكان هذا القانون يحتوي على تفاصيل كثيرة تخص واجبات المبعوثين الملكيين وصلاحياتهم ، وهي واسعة وشاملة. والواقع انه في حالة وجود . حكومة مركزية قوية ومبعوث ملكي نزيه وكفؤ يؤدي نظام المبعوثين الملكيين خدمة كبيرة ومفيدة . ولكن في حالة فقدان هذه او تلك فلن يحقق النظام الهدف المنشود منه. وهكذا أوجد شارلمان وظيفتين جديدتين هما وظيفة كونت المارك ووظيفة المبعوث الملكي. وكان شارلمان دائب الحركة والتنقل بين اجزاء مملكته الواسعة . وقد يصعب الحديث عن عاصمة معينة له .

وان كان هو يفضل اكس لاشابل – آخن – التي كانت تقع في قلب امبراطوريته والتي كان يفضلها لموقعها وربيعها الجميل والدافئ.

في الوقت الذي جاء فيه شارلمان الى الحكم كان نظام الضرائب الروماني قد زال برمته . فلم يعد الشخص الحر يدفع ضريبة للدولة ، بل استعيض عنها بالخدمات التي يؤديها ، ومن تلك الخدمات ضيافة الملك ورجال بلاطه حيث كان هؤلاء في حركة مستمرة وتنقل دائم. وكذلك ضيافة موظفي الحكومة اثناء مرورهم وتنقلاتهم . وكان يفرض العمل الالزامي في حالات الاشغال ذات النفع العام . ولكن اهم واجبات الشخص الحر هي : تلك الخاصة بالقضاء والخدمة العسكرية. فقد كان يحتم على كل فرد من الفرنجة حضور المحكمة التي يدعو اليها الكونت او يدعو اليها من يمثله . كما كان ملزما بالحضور اذا ما دعاه الكونت للقيام بالخدمة العسكرية بعد ان يسلح نفسه تسليحاً كاملا. وكانت حروب شارلمان المستمرة وساحات القتال النائية قد تطلبت اعدادا كبيرة من المجندين ، وكان لهذا اثارة المدمرة على الاحرار من صغار المزارعين. وهذا يفسر قيام عدد كبير منهم ممن كانوا على شفى الكفاف من التنازل عن حرياتهم ليصبحوا في عداد العبيد موكلين واجباتهم القضائية والعسكرية الى الآخرين الذين كانوا في وضع احسن وقدرة اكبر للقيام بتلك الواجبات وحاول شارلمان التخفيف من وطأة هذه الحالة فقرر عدم عقد المحكمة الا للجرائم الكبيرة. وحدد عدد مرات عقدها بثلاث مرات فقط في العام . اما تلك المحاكمات التي تعقد للنظر في القضايا الصغرى فقد اعفي الاحرار من حضورها وبالنسبة الى الخدمة العسكرية فقد قرر شارلمان بان تكون دعوة الرجال الاحرار اليها تقوم على اساس الحاجة المحلية وليس على اساس حاجة الامبراطورية العامة. وجعل الخدمة العسكرية تتناسب مع مقدار الملكية. فهؤلاء الذين يملكون مساحة معينة من الأراضي كانوا ملزمين بالحضور متى يستدعون وهم مسلحون تسليحا كاملا. اما اولئك الاحرار الذين يملكون اقل من ذلك او لا يملكون شيئا على الاطلاق فيتعاونون فيما بينهم وكل مجموعة منهم تساهم في تسليح واحد منهم فقط لاداء الخدمة العسكرية على اساس مساحة معينة من الارض يقابلها رجل مسلح واحد ولكن هذا الاجراء بحد ذاته ، قد جاء للتخفيف عن كاهل الرجال الاحرار الاعتياديين باعفائهم من المساهمة في الشؤون السياسية والعسكرية وتشجيعهم على التخلي عن وظائفهم الى من هم اكثر ثراء منهم من الملاكين. كان في الواقع نقطة تحول لعدد كبير من الاحرار الى صنف العبيد. فمنزلة الرجل الذي ليس له موضع قدم في المحكمة ولا يحارب ، لا يختلف كثيرا عن منزلة العبد. وفي الوقت نفسه ساعد هذا الاجراء كثيرا في بروز الطبقة النبيلة المحاربة والى جانبها طبقة الفلاحين العبيد.